ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الكراسي العلمية بين الأهمية والدور الفاعل في تقويم السلوك وتقريب المذهب وتمثين العقيدة

نموذج: كراسي جامع القرويين بفاس

Scientific chairs between the importance and the active role in the evaluation of behavior and the convergence of doctrine and beliefs Model: Chairs of the Mosque of villagers in Fez

د.خالد بن أحمد صقلي*

Dr.SQALLI BEN AHMED khalid

أستاذ التعليم العالي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

– جامعة سيدي محمد بن عبد الله — ظهر المهراز– فاس المغرب.

البريد الإلكتروني:sqallikhalid@hotmail.com

Summary : *Not scientific renaissance chairs product development, but is a global experience of long standing, the experience of the modern Arab born of the Nativity,Wien Muslims emerged sense the emergence of scientific institutions and jailing of endowments,the significance of the Scientific chairs in the community partnership Cultural Value .And In the value and impact of research knowledge, their role in sustainable development, community service, and meet the requirements, to address issues and find solutions to problems, and raising the level of scientific research and harnessing the expertise of researchers and academics in the knowledge industry and the economy, and the utilization of University facilities and infrastructure in the community service and humanitarian knowledge, and achieving excellence, creativity and innovation, and the need to take care of the Scientific chairs, programs and themes has become one of the necessities which imposed it self to intensify efforts to improve the quality and productivity, the quality of the scientific research highlight distinguish them Because these chairs truly scientific as evidenced by the field studies a positive phenomenon in the knowledge society, and is considered as a strong supporter of the PASSAGEWAY to*

* تاريخ استقبال المقال:2017/06/20 تاريخ المراجعة:2017/10/02 تاريخ القبول:2017/10/12

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

develop and provide scientific movement, and the advancement of knowledge, and all aspects of building contributions not builds on development provides accurate scientific studies it is fragile construction, is not based on solid foundations, and uncovering the traits and show its drawbacks, accurate scientific studies by specialized research actors in the forefront of scientific chairs, which feature that it is specialized in a specific area and clear according to the purpose for which the Chair. The scientific chairs contribute to play an active role in the construction of civilization of any country.

And Scientific chairs at the University of villagers play a role in the development of the renaissance, which it depends on the service of many scientific projects, and address many of the issues that need to specialized research and accurate, and to contribute to the service of many economic and social issues, and provide solutions for many problems in those and other aspects according to the vision of accurate scientific research, and the plans and development projects that build on the studies emanating from these reliable scientific actors with an active and continuous developmental impact, and high reliability to the Administrator and enforcer of the beneficiary, and the adoption of scientific research universities for Wheel chairs to represent without doubt part of the response to the first confirmed desire to matter, and providers of education in the development and upgrading of education in line with the country's standing and prestige in the world, the capabilities to achieve this, it must represent the scientific Chairs An integrated system to serve the achievement of the objectives for which it was created, according to a clear vision, an integrated plan by the ministries of higher education in the Arab States, and this requires proper planning, direct supervision by government ministries and universities in general, so as not to repeat the topics of research chairs, with conflicting themes among them wasting time and effort and produces pursuant to be Corroded, and that authority in Morocco is determined to become research chairs a tender, not a luxury, or just a media puffiness show from which those chairs at its inauguration, and then disappear after that.

Finally Scientific chairs is truly a kind of academic excellence, known in many local, Arab and international universities, in total scientific centers main task research and study, and are interested in the first place the service aspect of science and knowledge.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

***Key words**: Ancient Education- Scientific chairs - antique schools- sustainable development education- Villagers Mosque- Education in Fez.*

مقدمة: لقد حظيت جامعة القرويين باهتمام العديد من الباحثين في عدة تخصصات، حيث اعتبرت هذه الجامعة مركزا لنشر العلم، إذ كان يقصدها الطلبة من جميع الأقطار لتلقي العلم بها، وتخرج منها العديد من العلماء والفقهاء والقضاة والمفتين... بل وكان لها دور كبير في حماية مقومات الأمة الإسلامية دينيا وثقافيا وسياسيا. ويشهد لها التاريخ بأنها كانت وراء الحركات الإسلامية التحررية، وعبأت أفراد الشعب المغربي قصد الجهاد في سبيل الوطن ومواجهة العبودية والاستعمار.كما يشهد لها بالمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية التاريخية، والانتماء الديني السني في نطاق المذهب المالكي فقها وتشريعا، مع التصدي عند الضرورة للدعوات الباطلة والبدع الضالة ومكافحة كل أنواع التخلف المادي والمعنوي والجمود العقلي متوخية تقديم صورة الإسلام الصحيح المستنير بنور القرآن، والمجادلة باللين والرفق والكلمة الطيبة والسعي إلى إيجاد الحلول المرضية لما يطرأ ويطرح من مشاكل العصر وإفادته بالفتوى الصائبة والملائمة. وقد كانت هذه وغيرها هي الأهداف التي أسس من أجلها جامع القرويين وجامعته وكل فروعها،كما سهر ملوك المغرب عبر التاريخ عموما وملوك الدولة العلوية خصوصا على استمرار هذه الأهداف والمبادئ، وكلما فطنوا بابتعادها عن المنهج المرسوم لها أو الانحراف عن صلبه إلا وتدخلوا للإصلاح والتقويم والتحديث حتى تعود الأمور إلى نصابها وتستمر في أداء واجبها[1] المنوط بها. وإن إقرار العمل بالكراسي العلمية وإحيائها بمساجد المملكة ودعمها وتعزيز غاياتها لعمل تعليمي أصيل يراد منه تيسير سبل تحصيل العلوم المرتبطة بالشريعة الإسلامية وتقريبها من كافة الناس وإشاعتها بينهم، حماية لعقيدتهم وفكرهم، وترسيخا للمنهج الوسطي المعتدل في فهم الدين الإسلامي الحنيف، وترسيخ الثوابت الدينية للمغرب في البناء الفكري والثقافي والعلمي للمجتمع، والمتمثلة في العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، وتصوف الإمام الجنيد، وإمارة المؤمنين.

العنصر الأول:من ملامح تجليات أهمية الكراسي العلمية في المؤسسات العلمية ودورها في المجتمع كمقوم لتنمية مستدامة وشراكة مجتمعية: من الثابت أن تطور الأمم ورقيها يعتمد على جملة من الأسباب والروافد التي يمثل فيها البحث العلمي أحد أهم مكوناته الموصلة إلى هذا التطور والتقدم، فضلًا عن أن البحث العلمي يعد الركيزة الثانية بعد التعليم في مهام الجامعات والمراكز العلمية، ومن هذا المنظور فقد بدأت الجامعات عموما في العالم العربي في إعطاء هذا المنحى عناية فائقة، مدعومة برعاية سامية عالميًا، وما النهضة العلمية التي تشهدها جامعاتنا العربية في الاهتمام بهذا

الجانب إلا خير دليل على ذلك، غير أن مراكز البحث العلمي لن يتأتى لها الرقي إلا بالنهوض بالكراسي العلمية نفسها، الأمر الذي سيخلق نوعا من التواصل والعطاء والعمل لتشجيع البحث العلمي في جميع أرجاء العالم لإشاعة روح الحوار والتعاون وترسيخ مفهوم الأخوة الإنسانية والتواصل بين الشعوب، ولعل هذا التواصل لا يستقيم إلا بتقوية هذا العطاء داخل الدول العربية وفيما بينها ليرتقي بها في مجالات التميز والإبداع العلمي والثقافي وغيره من المجالات الأخرى..

ولم تكن الكراسي العلمية وليدة عصر النهضة والتطور، بل هي تجربة عالمية قديمة العهد، وتجربة عربية حديثة وليدة المهد، فهي بمفهومها عند المسلمين ظهرت بظهور المؤسسات العلمية وحبس الأوقاف عليها، وتكمن أهمية الكراسي العلمية في شراكتها المجتمعية ومدلولها الحضاري، وفي قيمتها البحثية وأثرها المعرفي، ودورها في التنمية المستدامة، وخدمة المجتمع، وتلبية الاحتياجات، ومعالجة القضايا وإيجاد حلول المشكلات، والارتقاء بالبحث العلمي ومستوى الباحثين وتسخير خبرات الأكاديميين في صناعة المعرفة واقتصادها، والإفادة من تجهيزات الجامعة وبنيتها في خدمة المجتمع والمعرفة الإنسانية، وتحقيق التميز والإبداع والابتكار، وأن ضرورة الاعتناء بالكراسي العلمية، وبرامجها وموضوعاتها أصبحت من الضروريات التي تفرض نفسها بتكاثف الجهود وتحسين الجودة، جودة إنتاجيتها البحثية لتبرز تميزها العلمي، لأن هذه الكراسي العلمية بصدق حسب ما أثبتته الدراسات الميدانية ظاهرة إيجابية في المجتمع المعرفي، كما تعتبر داعمًا رئيسًا ورافدًا قويًا لتطوير وتقدم الحركة العلمية، والنهوض بالجوانب المعرفية، وكل بناء حضاري وتقدم تنموي لا يُبنى على دراسات علمية دقيقة فهو هش البناء، لا يقوم على دعائم راسخة، ولا يلبث أن تنكشف سوأته وتظهر عيوبه، والدراسات العلمية الدقيقة تقوم بها الجهات البحثية المتخصصة وفي مقدمتها الكراسي العلمية، التي تمتاز بأنها متخصصة في مجال محدد وواضح– حسب الهدف الذي أُنشئ الكرسي من أجله– وعلى هذا فالكراسي العلمية تسهم بدور فاعل في البناء الحضاري لأي بلد، وتضطلع بدور رئيس في النهضة التنموية، التي يعتمد عليها بشكل رئيس في خدمة الكثير من المشروعات العلمية، ومعالجة الكثير من القضايا التي تحتاج إلى بحوث متخصصة ودقيقة، وتسهم في خدمة الكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وتقديم الحلول لكثير من المشكلات في تلك الجوانب وغيرها وفق رؤية بحثية علمية دقيقة.

وتشكل الخطط والمشروعات التنموية التي تبنى على الدراسات الصادرة من هذه الجهات العلمية الموثوقة ذات أثر تنموي فاعل ومستمر، وذات موثوقية عالية أمام المسئول والمنفذ والمستفيد على حد

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

سواء، إن تبني الجامعات للكراسي العلمية البحثية ليمثّل بلا شك جانبًا من استجابتها للرغبة المؤكدة لدى أولي الأمر، والقائمين على التعليم فيه في الارتقاء بالتعليم وتطويره بشكل يتماشى مع مكانة البلد وقدراته ومكانته في العالم، وتحقيقًا لهذا فيجب أن تمثل الكراسي العلمية منظومة متكاملة لخدمة وتحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها، وفق رؤية واضحة، وخطة متكاملة من قبل وزارات التعليم العالي في الدول العربية، وهذا يتطلّب تخطيطًا سليمًا، وإشرافًا مباشرًا من قبل الوزارات والجامعات بصفة عامة، بحيث لا تتكرر مواضيع الكراسي البحثية، وتتضارب موضوعاتها فيما بينها بشكل يهدر الجهد والوقت وينتج عملًا متآكلا، لأن الإرادات في بلداننا العربية عازمة على أن تصبح الكراسي البحثية عطاءً وليست ترفًا، أو مجرد هالات إعلامية تظهر من خلالها تلك الكراسي عند تدشينها، ثم تختفي بعد ذلك. إن الكراسي العلمية تعد حقا نوعًا من النشاطات الأكاديمية المتميزة التي تُعرف في العديد من الجامعات المحلية والعربية والعالمية، وهي في المجموع مراكز علمية مهمتها الرئيسة البحث والدراسة، وتهتم في المقام الأول بخدمة جانب من جوانب العلم والمعرفة. وتهدف بالأساس إلى تحقيق أهداف متعددة يأتي من أبرزها ما يلي:

– توجيه بعض البرامج الأكاديمية والبحثية في الجامعات، واستقطاب الكفاءات العلمية المتخصصة لتنشيط البرامج البحثية في الجامعة .

– الإفادة من أصحاب الخبرات العلمية وتسخير خبراتهم لتطوير الرصيد المعرفي والبحثي سواءً أكان ذلك على مستوى الجامعة بصفةٍ خاصةٍ أو مستوى المجتمع عامة.

– العمل على دعم وتشجيع وتطوير أبحاث الدراسات العليا في بعض المجالات التخصصية التي تندرج تحت اهتمام الكرسي .

– خدمة وإبراز التاريخ العربي، ودعم البحث العلمي، وتعميق الفكر التاريخي وفق منهج علمي، وآليات بحثية أصيلة وحديثة.

– النهوض بالخدمات الإنسانية إلى آفاق التميز والمهنية والأداء العلمي، ومحاربة الفقر، ونشر ثقافة العمل الخيري في المجتمع.

وصفوة القول إن اعتماد الكراسي العلمية في مساجدنا ومؤسساتنا العلمية أصبح ضرورة ملحة تفرضها الظرفية الزمانية والتحولات المجتمعية والهشاشة الأخلاقية والفتور العلمي الذي أصبح مجتمعنا العربي الإسلامي يعاني منه، وذلك من أجل تقريب العلماء من الناس قصد تبصيرهم بأمور الدين الإسلامي الحنيف، وإعادة إحياء دور المساجد بحيث لا تقتصر وظيفتها على استقبال المصلين خلال

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

أوقات الصلاة، بل تصبح، كما كانت من قبل، مراكز ثقافية وعلمية وقبلة للراغبين في تعلم أمور الدين واللغة العربية...، والمساهمة الفعلية في التعريف بالثوابت الدينية للأمة الإسلامية وبيان دورها في تحقيق مجتمع عربي سليم قادر على مواجهة الأهواء والعواصف التي تعصف به من حين لآخر.

العنصر الثاني:الكراسي العلمية بجامعة القرويين بين الأهمية والدور الفاعل في تقريب المذهب وتمثين العقيدة وتقويم السلوك :

1- إشعاع منذ التأسيس واستقطاب للوافدين للدرس والتدريس: لم يعرف التاريخ الإنساني مؤسسة استقطبت اهتمام المفكرين والباحثين[2]مثل جامعة القرويين، ويستوي في ذلك مفكرو التاريخ القديم والحديث وحتى المعاصر، ولعل مرد هذا الاهتمام هو أن القرويين، جامعا وجامعة[3]، نهضت منذ أن انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وعم المغرب والأندلس والقيروان، فتسنى للقرويين بحاضرة فاس أن ترث نصيبا مما كانت تزخر به هذه البلدان من العلوم والمعارف[4]، وإذا كان جامع القرويين قد قام بوظيفة دينية وعلمية منذ تأسيسه، فإن مساجد المشرق ومساجد الأندلس وتونس وتلمسان وغيرها في العالم الإسلامي، قد نهضت بالمهمة ذاتها، المتمثلة في الإشعاع العلمي والفكري، إذ اتخذها العلماء والفقهاء واللغويون مراكز للبحث والتدريس، فتطورت رسالة المسجد والجامع لتصبح علاوة على مهمتها الأساس، أماكن للتفقه والدراسة والتعليم، يلتقي فيها طلاب العلم ومدرسوه على اختلاف مواطنهم ولغاتهم وأجناسهم، قصد العبادة وأخذ العلوم وتلقي المعرفة[5].

وعلى هذا الأساس برز دور وأهمية جامعة القرويين منذ عهد الشرفاء الأدارسة الذين وفد منهم المولى إدريس الأول إلى المغرب بعد أن نجح في الهروب من أبناء عمومته بني العباس وإرساء أساسات الدولة المغربية البعيدة نوعا ما عن العباسيين، ومبايعة ابنه المولى إدريس الثاني سنة 186هـ/802م، ليصبح القرويين مكانا للعبادة، ومركزا للإشعاع العلمي والثقافي والحضاري، وأتيح له أن يتفرد بنتائج هذا الإشعاع، وذلك بفضل الهجرة التي قام بها علماء كبار، جاءوا إليه من حواضر المعرفة والثقافة، إذ قدم إليه علماء من عاصمة العلم آنذاك قرطبة حين ضاق بهم المقام، نتيجة سياسة الأمويين هناك، فأصبحوا أساتذة بالقرويين، وساهموا في هذا الإشعاع، وقدموا لطلبة العلم عطاءهم الغزير، ثم انضاف إليهم نظراؤهم القادمون من مرتع العلم تونس إثر الأزمة التي حلت بالأغالبة حكام المغرب الأوسط، وفي هذا الإطار يذكر العلامة محمد عبد الحي الكتاني: "(...)**عندما ضاق علماء قرطبة بسياسة الأمويين لجأوا إلى فاس ليصبحوا أساتذة بالقرويين.وحين حلت الأزمات بالأغالبة بتونس فزع علماؤها إلى فاس ليجدوا لهم في القرويين ملجأ علميا ينشرون فيه المعرفة ويذيعون العلم،**

وبذلك ورثت القرويين علم قرطبة والقيروان في وقت مبكر من إنشائها (...)"[6]، لقد وجد هؤلاء الوافدون في كراسي القرويين ما يحفزهم على المساهمة في هذا الإشعاع العلمي، باعتبار أن مدينة فاس منذ تأسيسها على يد المولى إدريس ودعائه لها بقوله :"**اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة،ولا رياء،ولا سمعة،ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد بها، ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك،وسنة نبيك ما بقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها للخير، وأعنهم عليه، واكفهم مؤونة أعدائهم،وأدرر عليهم الأرزاق،واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق. إنك على كل شيء قدير** "[7] ،وقوله أيضا:"**اللهم اجعلها دار علم وفقه، يُتلى بها كتابك وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها**"كانت بيئة منفتحة قابلة لكل عطاء فكري، وبوتقة تنصهر فيها الثقافات والمعارف، لتتجسد في الكراسي العلمية برحاب الجامعة فيتلقاه طلاب علم وفدوا من مختلف البلدان العربية والمشرقية ومن أوروبا وإفريقيا في إطار هجرات فردية وجماعية.

وقد ساعد على ذلك ازدهار العمران في مدينة فاس واحتوائها للعلماء والفقهاء والأدباء الذين شكلوا مجالس العلم والتعليم داخل الجامع خصوصا في عهد السلطان الإدريسي أبي زكريا يحي الملقب بالأكبر بن الإمام إدريس وهو ما يؤكده العلامة سيدي محمد عبد الحي الكتاني بقوله:"(...)**ضاقت فاس بسكانها حتى بنى الناس الأرباض بخارجها، وبنى هو بنفسه الجوامع والحمامات والفنادق والحوانيت للتجار** (...)"[8]، الأمر الذي أهل الجامع ليصبح جامعة إسلامية عالمية، فلا غرو إذن أن ينهل من معينها أمثال الأسقف جيربير Gerbert أو البابا سيلفيستر الذي اعتلى مركز البابوية أواخر القرن 10م/4هـ، فقد درس في القرويين أيام كانت أوروبا تعيش عصورها المظلمة، وعند عودته لموطنه راح يشيد بما تلقاه في أقدم مؤسسة عليا في التاريخ الإنساني، من العلوم والفنون والآداب جميعها[9]بل وهو أول من أدخل الأرقام والأعداد العربية إلى أوروبا بعد أن أتقنها في رحاب هذه الكلية[10]، وقد واكب الإشعاع العلمي للقرويين ازدهار تدريس علوم عقلية ونقلية أخرى كالطب في العهد العباسي، فظهرت الحاجة الملحة إلى دراسته وتدريسه في مجالس القرويين، ومنه شاع تدريس هذا التخصص في جامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بمصر. ويؤكد المرحوم العلامة عبد الهادي التازي أن التدريس قد بدأ بهذه المعلمة منذ منتصف القرن 3هـ/9م، وترجع المواد المدروسة إلى ثلاثة أنواع :العلوم

الدينية وما يتبعها من علوم القراءات والحديث، والعلوم الأدبية،والعلوم البحتة: كالحساب والتنجيم والطب وما إلى ذلك[11].

ويبرهن على طرحه هذا بمجموعة من القرائن أذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

أن الاتساع العمراني والتطور الذي شهدته فاس في تلك الفترة لا يمكن إلا أن يكون مصحوبا بحركة علمية، خاصة وأن المسلمين آنئذ اهتموا بإشاعة الثقافة الإسلامية أكثر من اهتمامهم بالبناء وتشييد العمران [12]، وازدهار هذا الأخير في هذه الفترة ما هو إلا انعكاس لنضج الثقافة الإسلامية بهذه المدينة التي شهدت قبل القرويين مسجدين كانا مركزين هامين للدعوة الإسلامية بالإضافة إلى تأديتهما لمهمة الصلاة وقراءة القرآن وتدارس العلم، وهما:مسجد الشرفاء بالعدوة[13]الغربية، ومسجد الأشياخ بالعدوة الشرقية[14] واللذين أسسهما المولى إدريس الثاني،وحينما ضاق المسجدان بمن وفد عليهما من الطلاب والعلماء ألهم الله عز وجل فاطمة الفهرية لبناء جامع القرويين ونذرت الصيام

والقيام لله سبحانه وتعالى طيلة مدة بنائه احتسابا لله وامتثالا لحديث نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم**":من بنى مسجدا يبتغي وجه الله بنى الله له مثله في الجنة"**[15]،وراجية من الله العلي القدير أن يبقى مسجدها عامرا بالعبادة والعلم والمعرفة، فاستجاب الله تعالى دعاءها فكان كما أرادت.

أن المولى إدريس حينما بنى مدينة فاس هبت الوفود الأندلسية والقيروانية إليها، فخصص القطاع الشرقي منها لأهل الأندلس وهو ما يعرف بعدوة الأندلس، وخصص القطاع الغربي منها لأهل القيروان وسمي بعدوة القيروان، فشكلوا بما يحملونه في صدورهم من نواة لإشاعة العلوم والمعارف، وهو الأمر الذي ستتفتق أزهاره وبوادره فيما بعد،فمنذ بناء العدوتين سنة 192هـ/807م إلى سنة 245هـ/859م تاريخ تأسيس القرويين شهدت فاس حركة علمية[16] لا نظير لها، لأنه وكما هو معلوم حيثما حلّ العلماء وُجد من يأخذ عنهم من الطلبة، فشكل تأسيس حلقات العلم داخل أروقة القرويين في هذه الفترة بداية جديدة لإلقاء العلوم وتلقيه خاصة مع وجود فحول من العلماء أذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر الإمام الحافظ والثقة الشاعر أبا عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي الجزائري (ت296هـ/908م) الذي كان من أوائل من عقد مجالس علمية بالقرويين واكتظ حوله الطلبة وغيرهم كثير فكلما سمع رواد المجالس العلمية بعالم جليل أو جديد ذهبوا إلى حضور دروسه.

في الوقت الذي بنت فيه فاطمة الفهرية الجامع عملت أختها مريم بالإضافة إلى بنائها لمسجد الأندلس بفاس على اقتناء مجموعة كبيرة من الكتب في العديد من العلوم وحبّستها على الجامعين،ولا

يمكن أن تتوفر هذه الكتب إلا مع وجود حركة علمية تقتضي هي الأخرى وجود عدد مهم من العلماء والطلبة الذين يتلقون عنهم ويدرسون تلك المؤلفات والنساخ الذين ينسخون تلك المؤلفات، أي وجود حركية لا متناهية في التلقي والعودة للبلد الأم، إن وجود خزانة كبيرة داخل القرويين غنية بمحتواها وقيمة بذخائرها منذ وقت مبكر لهو ترجمة واضحة لما شهدته القرويين من تميز منذ تأسيسها، ولولا هذه الحركية العلمية وهذه الكراسي البحثية لما وجدت هذه الخزانة ولا هؤلاء العلماء ولا الطلاب ولا هذا الإشعاع.

وصفوة القول إن هذه القرائن التاريخية التي بين أيدينا وغيرها تشهد مجتمعة وتُرجح بأن التدريس بالقرويين قد بدأ فعلا منذ أواسط القرن 3هـ/9م، إذ لا يعقل أن يكون بالجامع علماء وطلاب وخزانة بها نوادر الكتب والمخطوطات من كل العلوم ولا يكون ثمة حلقات للتعليم وكراسي للإلقاء، خاصة لو علمنا أن المسجد من رسالته الأولى في الإسلام بالإضافة إلى إقامة الصلاة به تدريس القرآن وتحفيظه ومدارسة علومه، وهو الأمر الذي تجسد في القرويين، وتطور ليشمل كافة العلوم العقلية والنقلية، وهو ما تؤكده أيضا المادة المصدرية والوثائق التاريخية التي تؤرخ للحركة العلمية في العالم الإسلامي وشبه الجزيرة والغرب الإسلامي.

2: اهتمام ملوك المغرب الحديث بالقرويين كجامعة وتوفير سبل إشعاعها العلمي وتتويج عنايتهم بها باعتماد الكراسي العلمية والبحثية: لقد ازدهرت بها الحركة العلمية منذ منتصف القرن 4هـ/10م، بازدياد العلماء والفقهاء والأساتذة وطلبة العلم، وهو ما جعل صفة الجامع العلمي لهذه المعلمة تتطور وينتشر صيتها في البقاع ومن بين الفقهاء الأجلاء الذين حفلت بهم القرويين في هذه الفترة نجد عالم فاس وفقيهها العلامة دراس بن إسماعيل (ت357هـ/967م) والشيخ بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) وهو صاحب الرسالة، والشيخ أبو جيدة اليزغيني (ت360هـ/970م)، كما بزغ نجم الشيخ أبي عمران القيرواني الفاسي (ت430هـ/1038م)، وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين حفلت بهم رحاب جامعة القرويين، وهو ما يبرز لنا بوضوح الدور الديني والعلمي والاجتماعي وحتى السياسي الذي اضطلعت به القرويين خاصة مع مرحلة العهد المرابطي التي اعتبرها الباحثون مرحلة ذهبية تُوجت بها المراحل العلمية السابقة[17]، خاصة بعد أن اتحدت الأندلس مع المغرب وأصبح العلماء يقبلون على القرويين من الضفة الأخرى إقبالا لا نظير له، مما جعل التعليم يزدهر بهذه المعلمة بشكل واضح وتتعدد أوجهه وتتنوع مشاربه، وفي عصر الموحدين خاصة أيام الخليفة يعقوب المنصور[18] قامت بالقرويين حركة علمية كبيرة وُسمت بالدعوة للرجوع إلى الأصول وترك كتب الفروع

التي طغت على الساحة الفكرية وقتئذ، فكانت لهذه الحركة الأصولية آثارها الإيجابية في رد الناس إلى القرآن والحديث وعدم الاكتفاء بالفروع، وهو ما جعل علوم القرآن وعلوم الحديث وغيرها من العلوم العقلية والنقلية والشرعية...[19] تزدهر بالقرويين وتتصدر قائمة العلوم المدرسة بها.

ومع حلول العهد المريني بدأت مرحلة الأوج في تاريخ جامعة القرويين، لما شهدته هذه المعلمة من الانفتاح على مختلف صنوف المعرفة مع الرجوع إلى كتب الإمام مالك، فقد حرص ملوك الدولة المرينية منذ البداية على جعل القرويين صرحا علميا كبيرا يشهد على أعمالهم ويشيد بمنجزاتهم، وفي هذه الفترة اكتملت ملامح الشخصية الدينية للمغرب واستقر أمر المغاربة على توحيد اختياراتهم الدينية حيث تم القضاء على شتى الاختلافات التي كانت قائمة قبلُ، مذهبية وعقدية، واستقر الأمر على المذهب المالكي في المعاملات، وعلى طريقة الإمام الأشعري في المعتقدات، وعلى السلوك السني في الأخلاقيات، إلى جانب ما يخدم هذه العلوم الثلاثة وما يتفرع عنها من تفسير وحديث وقراءات ولغة وأصول وسيرة...، بالإضافة إلى علوم المنطق والفلك والطب والرياضيات والكيمياء والفيزياء والهندسة والرياضيات والفلسفة وغيرها[20].

وأمام هذه الطفرة النوعية من الازدهار العلمي والإشعاع العربي الذي عرفته القرويين ستبرز ظاهرة علمية فريدة سيكون لها أثر واضح في خدمة الشخصية الدينية للمغرب بمختلف تجلياتها، وسيستمر أثرها ومداها إلى اليوم، وهي ظاهرة الكراسي العلمية التي كان لها دور بارز في خدمة الثقافة الإسلامية في عمومها بمختلف تفريعاتها المعرفية، وكذا في ترسيخ قيم التدين في جوانبه العملية والعقدية والسلوكية كما اختارها المغاربة وذلك من خلال تخصص بعض منها في جانب من هذه الجوانب، حيث كانت ثمة كراسي لتدريس كتب الفقه المالكي، وأخرى لتدريس متون في العقيدة الأشعرية، وأخرى لتدريس كتب التصوف. وهذه الكراسي هي بمثابة مناصب علمية مرموقة تُخصص لتدريس علم من العلوم أو كتب معينة، تُحبّس عليها أوقاف يستفيد منها الأساتذة والطلبة، أوقاف حبّسها أمراء عرب وسلاطين الدولة المغربية والمحسنون والمحسنات على حد سواء، وبقدر تنامي أعداد الكراسي بقدر تنامي أملاك الوقف عليها لما تؤمنه لهذه الكراسي وحلقات الدرس والمجالس العلمية من استمرارية وديمومة، وبهذا يكون الوقف قد أسهم كثيرا خاصة في العصر السعدي في تثبيت فضاءات الحرية والاستقلالية على أهل العلم وترسيخ نشاطها وعطاءاتها.

ومما ينبغي التأكيد عليه أيضا، مدى العناية التي خصصت لنشر التعليم والتفقه في الدين بين صفوف الحرفيين والتجار وأهل الصنائع...، ولهذا الغرض نظمت المجالس العلمية داخل المساجد

التابعة للوحدات الحرفية والمساجد الموجودة داخل الفنادق التجارية التي يشتغلون فيها، وفي هذا الإطار أنشئ على سبيل المثال كرسي بمسجد دار الدبغ بفاس والذي لعب دورا كبيرا في توعية أرباب الحرف من معلمين ومتعلمين وأمناء ولم تكن أوقاف هذا الكرسي أقل أهمية من غيرها، كما انتفعت أيضا نساء الحاضرة العلمية فاس من هذه الحركة العلمية، فقد أقيم أحد كراسي مسجد الأندلس بالقرب من المستودع الذي يوجد بدوره قرب مسجد النساء الشيء الذي مكنهن من الإنصات إلى ما يلقى من دروس علمية والاستفادة منها.

ويرجع تأسيس هذه الكراسي إلى سنة 651هـ/1253م حين تم إنشاء أول كرسي للأستاذية لتفسير القرآن للثعالبي (ت427هـ/ 1035م)، وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت430هـ/1038م)، ثم أضيف إليه لاحقا كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ويرجع سبب تأسيس هذا الكرسي: "**إلى أن بعض أئمة الجامع في عهد الدولة المرينية كان يُقرأ بين يديه أول النهار تفسير القرآن للثعالبي وحلية الأولياء لأبي نعيم وذلك في خاصة منه. وكان له قارئ حسن الصوت، وكان يحضر بعض الناس، وكانوا يجلسون في المسجد حلقا حلقا، وربما يأخذون في أمر الدنيا إلى أن تطلع الشمس فينصرفون، فأشار هذا الإمام على القارئ المذكور أن يتصدر قرب المحراب في الوقت المذكور، ويقرأ هناك من هذه الكتب فصولا لإسماع الناس، فاجتمع إليه سائر من يجلس به، وانتفع الناس بذلك، فأُعلِم بذلك من كان إذ ذاك من خلفائهم فاستحسن ذلك وأجرى لقارئ ذلك جراية، فاستمرت على ذلك إلى الآن، وهذا الكرسي اليوم يقرأ فيه تفسير الثعالبي والشفا والصحيح**(...)"، ثم توالى بعد ذلك تأسيس بقية الكراسي العلمية التي عرفتها جامعة القرويين، ومن الأسباب التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة– بالإضافة إلى ما سبق– حاجة العلماء إليها من أجل تلقين طلبتهم خاصة حينما يكثر عددهم، فقد كانت بعض مجالس العلم بالقرويين في هذه الفترة يناهز عدد حاضريها الآلاف من الناس، فكان ضروريا للمدرس أن يتخذ شيئا يعلو عليه حتى تعم الفائدة الجميع.

وقد كانت الانطلاقة الفعلية لهذه الكراسي مع السلطان أبي عنان المريني الذي كان يعقد كما يذكر ابن بطوطة مجالسا العلم كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة، وقد شهدت كل من القرويين والجامع الأعظم بفاس الجديد وكذا

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

المدرسة البوعنانية حركة علمية واسعة، وكان للسلاطين الدور الأبرز في تشجيعها والحرص على تعميمها، ويعد وصف الرحالة الحسن الوزان–الذي اشتهر بلقب ليون الإفريقي– خلال بداية القرن 10هـ/16م من أدق النصوص التاريخية التي تحدثت عن الكراسي العلمية بالقرويين وأماكنها وترتيبها ومدى انتشارها والإقبال عليها وذلك بقوله: "(...) **وفي داخل الجامع، على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة حيث يلقون على الشعب دروسا تتعلق بأمور دينه وشريعته**(...)"وموازاة مع أهمية هذه الكرسي وتنوعها فقد نمت مداخيله بفعل كثرة أملاكه الوقفية التي تضافرت بفعل جهود سلاطين الدولة المغربية ووقفيات أفراد المجتمع ومساهمتهم في تعزيزها، إذ بلغ عدد العقار المحبس على استمرار هذه الكراسي نحو 21 عقارا تنوعت بين الدور والدكاكين والأراضي...، والكراسي العلمية في بدايتها بجامعة القرويين لم تكن محدّدة في منهج دراسي يلتزم به الأساتذة والطلبة وإنما كانت عبارة عن مجالس مفتوحة في وجه الجميع، إلى أن قُنّنت فيما بعد، ومع تطور مفهوم الكرسي الذي أصبح عبارة عن منصب هام له تجلياته وطقوسه، كثرت الكراسي وتخصص كل واحد منها بجانب من المواد العلمية، وبالإضافة إلى القرويين كانت هناك العديد من المدارس في فاس التي شهدت هي الأخرى كراسٍ علمية كانت تابعة لكراسي القرويين، ومن هذه المدارس أذكر مدرسة الحلفاويين، ومدرسة الصهريج، ومدرسة العطارين، ومدرسة الخصة، ومدرسة أبي عنان، ومدرسة الوادي.

بالإضافة إلى الكراسي التي كانت في مساجد فاس والتي كانت هي الأخرى تابعة للقرويين، وفي هذا الإطار يقول العلامة محمد ابن الحسن الحجوي في فهرسته إذ يقول: "**لا ريب أن انتشار العرفان في الأمة، حتى ينال حظه منها التاجر والصانع وغيرهما، عنوان ذكاء الأمة ورقي فكرها وحسن مجتمعها. ومن المعلوم أن عوام فاس أحسن فكرا وأجود تصورا وأتم ذكاء من بعض علماء بقية المغرب لوجود نبراس عظيم يستضيئون به وهو معهد القرويين الذي طما بحر معارفه فتدفق على منتدياتها ودورها وبساتينها فقلما تجد مجتمعا لا يوجد فيه عالم يجتمعون عليه ويقتبسون من معلوماته**"[21].

وصفوة القول لقد تعددت الكراسي العلمية في مدينة فاس وتكاثرت سواء تلك التي أثثت فضاءات جامعة القرويين، أو التي كانت في المساجد والمدارس المحيطة بها، وقد حددها المرحوم العلامة عبد الهادي التازي في ما يقرب 140 كرسيا،كانت تنتظم فيها حلقات الدرس يومئذ، يجلس عليها

علماء متخصصون وهي بمثابة فروع لجامع القرويين مكملة لبرامج التكوين العلمي أو لبرامج التوعية والتوجيه الديني. وقد كانت ولاية كرسي التدريس بالقرويين بعد تطورها خاصة في العهد السعدي والعهد العلوي تعتبر منصبا ساميا، لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده، وهو ما يبرز لنا القيمة التي حظيت بها هذه الكراسي، والأهمية التي تبوأتها بالنظر للرسالة السامية التي حملها وفي طليعتها حماية الثوابت الدينية للبلاد والعمل على نشرها بين أبناء الأمة خاصة ما يتعلق منها بجانب المعاملات، والمعتقدات، وما يرتبط بالجانب الأخلاقي.

3- إصلاح النظام التعليمي بالقرويين ودعم وتشجيع الكراسي العلمية على عهد السلطانين المولى **يوسف وابنه محمد رحمهما الله:** يشير المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان في كتابه "الدرر الفاخرة" إلى محاولة السلطان المولى يوسف بن الحسن لإصلاح وضعية التعليم بالقرويين فقال: "**وبمجرد ما تسنى لجلالته كرسي الآباء والجدود الطاهرين توجهت همة سموه الفعالة إلى إصلاح الحالة العلمية بالكلية القروية، والنظر في سد الخلل الذي كاد أن يتسرب إليها، والفحص بتدقيق في المراتب العلمية وتنقيحها وإنزال كل من العلماء منزلته في المرتبة اللائقة به**"[22]،كما تطرق في طيات كتابه إلى إنشاء المولى يوسف لمجلس تحسيني ينظر في الوسائل الكفيلة بإصلاح نظام التدريس والتعليم وبترقية رواتب المدرسين، وأسند رئاسة هذا المجلس إلى العلامة أبي عبد الله محمد بن الحسن الحجوي، وبالفعل فقد استشار السلطان بعض العلماء في كيفية إصلاح التعليم وتحسين جودته بجامعة القرويين، فشرع العلماء فورا في القيام بالواجب الملقى على عاتقهم، ووجهوا رسالة إلى السلطان المولى يوسف رحمه الله يعترفون فيها بمدى حاجة القرويين لإصلاح نظامها التعليمي وتجديد علوم كراسيها ومجالسها العلمية مقدمين مشروع الإصلاح في 19 فصلا مع التنبيه على إمكانية مراجعة القوانين على رأس 10 سنوات، لكن هذا المشروع لقي معارضة قوية من طرف الإدارة الفرنسية التي رأت أن عدد المدرسين كثير وغير مقبول ولا توجد ميزانية لدفع رواتبهم.

والحقيقة أن سلطات الحماية الفرنسية كانت ترغب في إنجاز إصلاح تحت مراقبتها. وقد كلف السلطان المولى يوسف العلامة محمد بن الحسن الحجوي بإنجاز مخطط الإصلاح، وكان الرجل يحمل تصورا موضوعيا لإصلاح التعليم الذي كان مقتنعا بأنه هو أساس كل نهضة في البلد، وعن هذا التكليف كتب الحجوي يقول: "**وبعد مجهودات صدر أمر شريف سنة 1332هـ/1913م، بإدخال نظام إليها (القرويين) تنهض به، لائق بمنزلتها في قلب الأمة المغربية بل الإفريقية،واسند نظرها**

إلي فقدمت فاسا صحبة أعضاء الكتابة العامة للدولة الحامية"،وقد اجتهد الحجوي في إصلاح نظام التعليم بالقرويين ونظم مجلسا بواسطة الانتخاب بحضور المستشرق الفرنسي مرسيي(Mercié)، وتمت الجلسة الانتخابية تحت رئاسة سيدي محمد المهدي صنو السلطان والأخ الشقيق للسلطان مولاي عبد العزيز بتاريخ 16 رجب 1332هـ/10 يونيو 1914م.

وفي نفس السنة تم انتخاب اللجنة المشرفة على الإصلاح والتي حملت اسم "مجلس العلماء التحسيني للقرويين"، والملاحظ أن مشروع العلامة الحجوي قد بث في كيفية اختيار الأساتذة ووضع منهاجا لكيفية التدريس وطرق عمل الكراسي وتسييرها وضبط المجالس العلمية وعلومها...وكما أنه كان مستمدا من المشاريع الإصلاحية التي عرفتها مصر وتونس وخاصة الإصلاحات التي عرفها جامع الأزهر سنة 1896م و1908م، وجامع الزيتونة سنة 1912م. وهكذا نرى أن المشروع الإصلاحي الذي أنجزته نخبة من العلماء المغاربة تحت رئاسة عالم موسوعي كلفه السلطان بإصلاح الوضعية المتدهورة للتعليم، كان بالإمكان أن يساهم في وقوع إصلاح حقيقي بالمغرب لطرق التعليم ولوضعية المدرسين لولا أنه تعرض للفشل في نهاية المطاف.

وأسباب الفشل عديدة يقول زين العابدين العلوي يأتي على رأسها معارضة الإدارة الفرنسية أن يتم أي إصلاح حقيقي في ميدان التعليم بالمغرب بأيد مغربية وفي جامعة عريقة مثل القرويين، وقد وجدت إدارة الحماية سندا لها في المتعاونين معها لرفض تنفيذ مشروع الإصلاح، وفي هذا الصدد يقول العلامة الحجوي في كتابه الفكر السامي:"**ولكن مع الأسف المكدر، تداخل في القضية ذوو الأغراض الشخصية فبينما نحن نبني ونصلح ونرمم بفاس، وقد شرعوا في الهدم والتخريب في الرباط بغير فاس**"، وفي موضع آخر يقول: "**قاموا ضدي بالرباط وتقوى بهم حزب كان في الإقامة العامة**" [(23)].

وتشير رواية أخرى أوردها المستشرق بّاي (Payé) إلى أن الجنرال ليوطي هو الذي أوقف المشروع وعارضه بشدة بدعوى عدم توفر الموارد المالية اللازمة لتنفيذه، مما قاله ليوطي لبعض أعوانه:" **إذا تم لفرنسا القضاء على تجديد القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب**". لقد أقحمت فرنسا نفسها عنوة في إصلاح القرويين لتطمئن على ما يجري داخل الجامعة والتي تهيمن كما عبر الجنرال موانيي (Moinier) على مدينة فاس، لا سيما حين أعرب السلطان المولى يوسف عن رغبته الأكيدة في تطور التعليم إلى حال أفضل. وبهذا يكون التدخل الفرنسي قد تضافر مع عوامل

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

أخرى فكان سببا مباشرا في إفشال مشروع إصلاح النظام التعليمي لجامعة القرويين رغم جهود السلطان المولى يوسف الحثيثة لإصلاحه والنهوض به.

لقد ظل تسيير الإصلاح في النظام التعليمي بالقرويين يسير ببطء على الرغم من المساعي الجبارة التي بذلها السلطان المولى يوسف، ولم يكتب لها السير بخطى حثيثة إلا مع تولي السلطان سيدي محمد بن يوسف رحمهما الله الذي عرف بتأييده لحركات الإصلاح في المغرب وغيرته عليه، فقد تتبع خطوات والده في إصلاح نظام التربية والتعليم بالقرويين، فأصدر مجموعة من القرارات والظهائر.

ونستشف ذلك من خلال بيان الإصلاحات المنجزة بالقرويين حيث يقول جلالته: "**تعلمون الحالة التي وجدنا عليها التعليم بجامع القرويين وما كان يهدده من الوقوع في هاوية الزوال: علماء يقلون، وطلبة يتشتتون، علوم تنقص بموت مزاوليها وقلة ذات اليد تلزم المدرسين أن يهجروا العلم للارتزاق بمهن أخرى، لأمر (...) يهدي الناس ولا رائد رشد يورد من المعارف العذب السلسبيل حتى أدركتنا العناية الربانية فوجهنا همتنا لإصلاح الأحوال وتدارك مهجة العلم مما كان يهدده من الاضمحلال، فأسسنا المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية بأعتابنا الشريفة ليباشر تحت إشرافنا إنشاء نظام جديد للمعهد القروي، فرتب مزاولة العلم به في ثلاث طبقات:ابتدائية ثانوية نهائية، وحدد لكل طبقة ما يُقرأ بها من العلوم كما حصر أمد سني الدراسة فيها، وعين المدرسين لكل واحد منها ورتب الرواتب الكافية ثم عين مراقبا لسير الدروس بعد ما حصر الفنون والكتب التي يقرأ بها وأوجب امتحانا سنويا لترقي الطلبة من طبقة إلى طبقة، وآخرين للمتخرجين(...)، وجعل شهادتين بذلك يتمسك بهما أولئك المتخرجون دليلا على تحصيلهم وتأهيلا لهم لنيل الوظائف الدينية والمخزنية(...)، ولم نقتصر على إصلاح المعنويات، بل أمرنا بكل ما تم من إصلاح المدرسة المحمدية، وباشرنا في الأسبوع الفارط افتتاح خزانة الكتب ووجهت اجتماع أعضاء المجلس التحسيني والمدرسين وما يتبع ذلك من الأمكنة اللازمة لتسير شؤون الكلية على نمط يضمن لها الحياة ويسهل لها الرقي، أما مدارس سكنى الطلبة فلا تزال يدخل عليها الإصلاح المتواصل من إنارة وغيرها، على أننا نرجو في ذلك السبيل مزيدا بعد مزيد ثم صرنا نتابع هذا الزمان لأنفسنا متعدين بإصلاح النظام كلما سنحت بذلك الفرصة، قابلين ما يرد من الآراء السديدة فاتحين باب الإصلاح كلما سنحت الفرصة للإصلاحات الجديدة(...)**"[24].

ومن خلال هذا البيان تتضح لنا مجموعة الإصلاحات التي عمل السلطان المولى محمد بن يوسف على إدخالها على نظام التعليم بجامعة القرويين وذلك بموجب إصدار مجموعة من الظهائر، فبفضل هذه الإصلاحات التي نهجها سلاطين الدولة العلوية ارتقى مستوى التعليم في القرويين وتخرج منها أساتذة تخصصوا في تدريس المادة الإسلامية وعلوم اللغة العربية أو تفتيشها كما عملوا في الميدان القضائي والإداري والدبلوماسي. وأن الدارس لهذه المرحلة يجد أن صراعا قويا، خفيا حينا وصريحا مكشوفا أحايين أخرى عديدة، قام بين السلطات الاستعمارية من جهة أولى وبين الملك المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه في تنسيق وتضافر حثيث مع رجالها، بل وكان رحمه الله كثير الزيارة لجامعة القرويين رفقة المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما، حريصين على الاتصال بطلبتها والاجتماع بأساتذتها، والجلوس أمام كراسي العلماء للاستماع للدروس العلمية ومناقشة الطلبة والتواصل معهم.

ومن تلك الزيارات الزيارة التي قام بها طيب الله ثراه في شهر جمادى الأولى عام 1360هـ/يونيو 1941م حيث يذكر الأستاذ أبو بكر القادري رحمه الله أن جلالته طيب الله ثراه طاف أرجاء القرويين وأنصت إلى علمائها في حلقات دروسهم المختلفة. فاستمع إلى درس الفقيه العالم السيد محمد العلمي في "علم التوقيت" والتنجيم والفلك وجلس إلى جانب الطلبة في كرسي العلامة سيدي الجواد الصقلي وهو يدرس "مختصر خليل"، كما أنصت بإمعان إلى درس العلامة العباس بناني في "علم الأصول" (...)، وكان جلالته– كما تحدثت عن ذلك صحيفة "المغرب" اليومية– يهتم كل الاهتمام بما يلقيه الأستاذ ويتابع طريقة إلقاء الدروس ويستفسر عن المواد المدروسة إلى غير ذلك من الملاحظات التي كان يتابعها بكامل الاهتمام،كما كان رحمه الله دائم الاستدعاء للعلماء للحضور إليه من أجل أن يراجع ويتباحث معهم حول النظام العلمي الجاري به العمل في جامعة القرويين وضرورة مراجعته وإصلاح ما يجب إصلاحه مع حرصه طيب الله ثراه على دعم الكراسي العلمية وتجديدها.

وألقى في أحد هذه الاجتماعات خطابا ومما جاء فيه: "**الحمد لله أول ما وفقنا إليه سبحانه بعد صعودنا على عرش أسلافنا المقدسين، اهتمامنا بإحياء تمكين ديننا الزكي الطاهر، لما علمنا أن العلم هو الوسيلة العظمى لإدراك ذلك المقصد الأسمى، تعلمون ما بذلناه من الجهود وما مهدنا من العقبات في سبيل نشر العلم، وتسهيل طرقه، علمنا ما لجامع القرويين من سالف المجد في حفظ مهجة العالم الإسلامي وما تخرج منه من الفحول الذين كانوا تيجان فخر بمفرق الدهر في طي عهود التاريخ المغربي، فما علمنا وسيلة ترد شبابه وعمارة**

دروسه وازدهار العلم به إلا اتخذناها، كانت رواتب العلماء ضئيلة فزدنا فيها ما تعلمون، وكانت الدروس مبعثرة يقرأ كل ما يشاء وكيف يشاء، فجمعناها منظمة بنظام لم نزل منذ أعوام نسمع الثناء عليه من كل الجهات، وغاية الامتنان بوجوده، كانت المدارس مشرفة على الخراب فأصلحت وأنيرت،كان خريج القرويين لا مستقبل له فقيدنا جل الوظائف على المتخرجين منه بنجاح في الامتحان، هذا كله وعنايتنا به مستمرة جلية في كل حين نأمر المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية بأعتابنا الشريفة بالاجتماع كلما تدعو الضرورة لذلك إما لزيادة الإصلاح او لسد خلل يظهر أو رتق فتق يتعين أن يجبر، منتظرين من كل واحد أن يبذل النفس والنفيس في النصيحة لله ورسوله ودينه وأمته" إلى آخر الخطاب الملكي(25).

وقد رفع وفد من طلبة القرويين مذكرة لجلالته بالإصلاحات التي يجب إدخالها على النظام التعليمي بالقرويين وكراسيها ومجالسها العلمية وهي تتلاقى كل التلاقي مع ما كان يطمح إليه جلالته، ولقد علقت الجريدة المذكورة على مطالب الطلبة في الإصلاح والتي عبروا عنها في مذكرتهم فقالت: "**إن هذه المذكرة مما تفخر به جامعة القرويين أن تكون صادرة عن طلبتها**"، وعلل العلامة أبو بكر القادري ذلك بقوله: "**لقد أراد طلبة القرويين أن تساير كليتهم الحياة وتأخذ بنصيبها من الرقي العلمي والتقدم الثقافي وتتطور في أسلوبها الدراسي ومناهجها التعليمية، بما يضمن لأبنائنا النجاح ويهيئهم لأن يكون منهم علماء بما تنطوي عليه كلمة "عالم" من معنى، يفيدون ويستفيدون ويكون لهم أثر في الوجود بما يقدمونه من إنتاج فكري صالح في مختلف العلوم**".

4- علوم وتخصصات الكراسي العلمية بجامعة القرويين حاضنة لأهل العلم ومؤثرة في مجال التربية والتأطير والإنتاج: لقد كفلت مداخيل أوقاف جامعة القرويين للأساتذة والعلماء العيش الكريم، وضمنت لهم الاستقرار وراحة اجتماعية، واستشعروا نوعا من الأمان حفزهم ودفعهم إلى توجيه همتهم للتفرغ للعلم والعمل من أجله، فانخرطوا بحماس في الأنشطة التعليمية والبحثية والدعوية،كما حفز الوقف أيضا الطلبة بما يقدمه من سكن وأكل وملبس ومرتبات على ارتياد مجالس العلم بالقرويين وتحمل مشاق السفر للجلوس أمام كراسيه وبين يدي أساتذته وعلمائه مما وثق الصلات بين جهات البلاد وقوى قنوات التواصل بين البوادي والمدن، وأسهم في انتشار الفكر والثقافة الإسلامية في البوادي والمناطق النائية.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ولقد نالت العلوم الدينية والفقهية حظوة خاصة ضمن البرامج التعليمية بجامعة فاس وفروعها المختلفة، وتضاعف الإقبال على كتب المذهب المالكي تدريسا ونسخا وتأليفا، فكانت مدونات المالكية ومصنفاتها مادة الدراسة المفضلة في المجالس العلمية، كما كانت المجالس والكراسي العلمية الخاصة بدراسة اللغة والآداب والتاريخ والسير كثيرة ولها جمهور عريض من الطلبة، وحظيت أيضا الحقول العلمية بنصيب وافر في معاهد فاس كعلم الحساب والتوقيت والطب والتنجيم ونتيجة لذلك اشتهر علماء مبرزون في مختلف الحقول العلمية كالفلكي العددي ابن البناء المراكشي (ت721هـ/1321م)، وابن أجروم الفاسي مؤلف كتاب الأجرومية (ت723هـ/1323م)، والفقيه المفتي أبو الضياء مصباح اليالصوتي (ت750هـ/1350م)، والعلامة الآبلي (ت757هـ/1356م.

وشهدت أيضا مجالس العلم بفاس حضور وجوه بارزة من العلماء الأفذاذ كلسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون وابن بطوطة وابن مرزوق، وهي أسماء مشهورة وصل إشعاعها إلى بلاد الشرق والغرب على حد سواء،وتركت بصمات كبيرة في تاريخ الفكر والثقافة الإسلامية بفضل مؤلفاتهم وشروحاتهم ومنسوخاتهم، وهي إلى يومنا هذا بمثابة مصادر رئيسية لا مفر لباحث في تاريخ العالم الإسلامي وحضارته من الرجوع إليها والوقوف عليها، وكان أيضا من ثمار الحركة العلمية النشيطة والمدعمة من قبل مؤسسة الوقف أن تخرجت فئات ونخب من الفقهاء والعلماء شكلت قاعدة عريضة لتمتين تجذر المذهب المالكي الذي أصبحت له السيادة ببلاد المغرب.

كما أن النخب المكونة في معاهد فاس وغيرها من الحواضر المغربية، مثلت موارد بشرية رفيعة المستوى كانت مؤهلة للانخراط بكثافة في تسيير دواليب السلطة والوظائف المخزنية من قضاء وحسبة وعدول ونظار إلى آخره...كما أسهمت تلك الأفواج المؤطرة في نشر التعليم والوعي بين الناس في مختلف الجهات والمناطق المغربية، وكانوا أداة لتعميم الثقافة الإسلامية واللغة العربية على نطاق واسع في جبال المغرب وسهوله وواحاته الفسيحة.ومن هذه العلوم والكتب أذكر على سبيل الذكر لا الحصر:

أ– الفقه المالكي:حظي الفقه المالكي ومؤلفاته بنصيب الأسد ضمن ما كان يدرس بالكراسي البحثية والحقات العلمية، ومن بين المواد الفقهية التي تضمنتها هذه الكراسي نجد في طليعتها:

–كتاب الرسالة: لابن أبي زيد القيرواني، والتي كانت تدرس في معظم الكراسي العلمية بجامعة القرويين، وكذلك في عدد من الكراسي البحثية داخل مدارس فاس وجوامعها التابعة لها، ومن بين كراسي القرويين أذكر: كرسي العلامة الورياغلي(ت894هـ/1488م)، الذي كانت تُدرس فيه بعد

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

صلاة الظهر، وكرسي باب الصالحين الأيسر وكانت تدرس فيه بالليل. وممن اختص بتدريسها فيه أذكر الشيخ الدكالي المشترائي، وكرسي ظهر الخصة وكانت تدرس فيه بعد الصبح، وكرسي باب الشماعين، وكرسي ظهر الصومعة، وممن درّسها فيه الشيخ مولاي أحمد العمراني، وكرسي الونشريسي،وكرسي الركن الشمالي الشرقي وكانت تدرس فيه في فصل الشتاء، وكرسي العنزة، بالإضافة إلى المجالس التي عرفتها بعض الجهات في القرويين مما لم يرق إلى درجة الكراسي،ومن هذه المجالس ما اختص بالرسالة ومنها مجلس الرسالة عند باب الرواح الأوسط كان بيد الشيخ يعقوب البدري(ت 999هـ/1590م).

أما خارج القرويين فقد كانت ثمة العديد من الكراسي العلمية في معاهد فاس العلمية ومساجدها التي كانت تابعة لجامع القرويين وهي متفرقة في الأزقة وأعماق الدروب، لكي توفّر على الناس مشقة الخروج وخاصة في فصول البرد والحر إلى المساجد الكبرى، ولتخفف الازدحام عليها، ولكي تضمن في الوقت نفسه صلتهم التامة بمعلوماتهم العامة، وغالبية هذه الكراسي دُرّست بها الرسالة، ومن بينها :كرسي مدرسة الصهريج ومن بين من درّس به الرسالة الشيخ الصوفي إبراهيم التازي المتوفى بالجزائر سنة 866هـ/1462م، وكرسي مسجد الأندلس كانت تدرس فيه بين العشاءين، بالإضافة إلى كرسي باب عجيسة الذي كان فيه كرسي خاص لقراءة الرسالة، وكرسي مسجد سيدي تميم الذي كان موقوفا في الأساس على إقرائها، وكرسي مسجد الدرب الطويل الذي كان حبسا في الأصل على تدريسها، وغيرها من الكراسي التي كانت تختص بتدريسها.

– **مختصر الشيخ خليل**: وقد دُرّس بجامعة القرويين منذ وصوله إلى فاس سنة 805هـ/1402م، على يد محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني، ومن المجالس البحثية التي اختصت بتدريس هذا المختصر داخل القرويين مجلس الشيخ سيدي يحيى السراج (ت805هـ)، ومجلس الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكناسي، ومن الكراسي التي دُرّس بها المختصر كرسي مدرسة الخصة أو المدرسة المصباحية، وقد تعاقب عليه ثلة من العلماء الأجلاء وعلى رأسهم الأستاذ أبو الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي (ت750هـ/1349م)، والإمام أحمد الونشريسي (ت914هـ/1508م).

وممن تصدّر للتدريس به أيضا قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي كان يُدرس به مختصر خليل بعد صلاة الظهر إلى نداء العصر، وكرسي بمسجد الأندلس، وكرسي مسجد سيدي خليل، وقد عرف المسجد بهذا الاسم لأجل تدريس المختصر به، وكرسي القبة بضريح مولاي ادريس، وممن درّس به المختصر الشيخ أبو عبد الله محمد السرغيني العنبري (ت1164هـ /1750م)، وكان يدرسه فيه بعد

الصبح، والشيخ أبو زيد عبد الرحمن المنجرة الحسني (ت1179هـ/ 1765م)، وكان يتفرغ لتدريسه بعد طلوع الشمس، وكرسي مدرسة الصفارين أو المدرسة الحلفاوية، وغير ذلك من الكراسي التي عنيت بتدريس هذا المختصر.

- **مختصر ابن الحاجب** (ت646/1249م): وقد حظي هذا المختصر هو الآخر بعناية خاصة منذ دخوله إلى فاس، وأول من أدخله الشيخ ناصر الدين المشدالي(ت731هـ/1330م)، وكان يدرس في العديد من الكراسي العلمية بالقرويين ومن بينها: كرسي الإمام الورياغلي، وكرسي الونشريسي، بالإضافة إلى عدد من كراسي المساجد والمدارس بفاس.

– مدونة سحنون(ت256هـ/871م)، وقد حظيت بعناية فائقة من لدن المغاربة، فكانت تدرس في العديد من كراسي القرويين ومجالسها، وكذا في الكراسي التابعة لها.

وصفوة القول لقد كانت بالإضافة إلى هذه المؤلفات العديد من كتب الفقه المالكي التي حظيت هي الأخرى بعناية فائقة داخل القرويين وكذا في المعاهد التابعة لها ككتاب تهذيب المدونة لأبي سعيد البراذعي (ت بعد 430هـ/1038م)، ونوادر[26] ابن أبي زيد القيرواني، والواضحة[27] لابن حبيب (ت238هـ/852م)، والبيان والتحصيل[28] ومقدمات[29] ابن رشد، والمرشد المعين لابن عاشر (ت1040هـ/1631م)، وغيرها من المؤلفات المالكية، وتدل هذه النماذج على مدى إسهام الوقف ودعم الدولة في تقوية دور الكراسي العلمية وحث العلماء على القيام بنشر الوعي وتأطير المجتمع.

ب– العقيدة الأشعرية: لقد نال الدرس العقائدي على طريقة الإمام الأشعري نصيبا وافرا من حصص الدرس بالكراسي العلمية داخل جامع القرويين، وقد حاز هذا الجانب أهمية بالغة من لدن علماء القرويين منذ العهود الأولى، وخير مثال على ذلك الأجوبة الكلامية الشافية التي كان يبديها العلامة أبو عمران الفاسي في عدد من القضايا الكلامية في وقته، وهذه المساجلات وغيرها هي نموذج حي وواضح يكشف لنا عن الدور الكبير الذي اضطلع به علماء القرويين منذ القديم في حماية المعتقد وتقريبه للناس بحسب فهمهم ومستوياتهم وتصوراتهم، وبهذا حظيت الحلقات الدراسية والكراسي العلمية للدرس العقدي بنصيب وافر من عناية علماء القرويين منذ وقت مبكر، وقد بذلوا جهدهم وما بوسعهم لتقريب مضامين العقيدة الأشعرية للطلبة وشرحها لهم بفصولها وأبوابها وبما تتضمنه من مباحث عقيدة السلف الصالح، وقد كانت لبعض مؤلفاتهم في العقيدة الأشعرية مكانة خاصة داخل جامعة القرويين بحيث أنشئت لها كراسي وحبّست عليها أوقاف، ومن المؤلفات العقدية التي كانت تدرس بكراسي القرويين أذكر: العقيدة الكبرى للشيخ السنوسي (ت895هـ/1489م) والصغرى والتي

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

كانت تُدرس بعدد من الكراسي، ومنها كرسي الورياكلي، وكرسي باب الحفاة، وكذلك منظومة ابن زكري في التوحيد، ودرّسها الشيخ يحي السرّاج في كرسي مستودع باب الحفاة، والشيخ أبو القاسم بن أبي النعيم، وقد دُرّست هذه المنظومة بشروح علماء القرويين أنفسهم خاصة بشرح الشيخ المنجور، وغيرها من المؤلفات الأخرى.

ت– التصوف: لقد كان للتصوف مكانة خاصة بجامعة القرويين وكانت الكراسي العلمية بها تعج بمؤلفات المتصوفة والزهاد، ويكفي كدليل على ذلك أن نورد كون رحلات المتصوفة المغاربة الأوائل كانوا من ضمن الأسباب التي أدت إلى بروز ظاهرة الكراسي، حيث يذكر الأستاذ المرحوم عبد الهادي التازي في معلمته حول سبب ظهور هذه الظاهرة بالقرويين أن عددا كبيرا من المغاربة: "**حضروا مجالس العلم ببغداد، وشاهدوا المشايخ والعلماء والأساتذة، وهم يتربعون على الكراسي لإسماع المريدين، فلمَ لا يسنُّ أولئك المغاربة هذه العادة لمجالس علمهم؟ وقد حضر الشيخ أبو مدين مثلا مجالس الشيخ الكيلاني التي كان يتبوأ فيها كرسيه، فلابد أنه كما تأثر بالنواحي الروحية، تأثر بالنواحي الشكلية، ولابد أن تلامذته عملوا على نهج أساتذتهم**".

ومشهور ومعروف أن الشيخ أبا مدين الغوث هو من أقطاب[30] التصوف في المغرب كما أن الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1166م) هو كذلك من كبار شيوخ التصوف، ومن هنا يظهر لنا الأثر الجلي الذي كان لمجالس الصوفية في إنشاء الكراسي العلمية داخل القرويين، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نُسجل أن أول كرسي أُسس بالقرويين وهو كرسي الورياغلي كان من ضمن المؤلفات التي دُرست به لأول مرة حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وهما مصدران هامان من مصادر علم التصوف، وهذا أيضا يبرز لنا العناية الفائقة التي حظي بها علم التصوف داخل القرويين منذ بداياتها.

وقد كانت للمؤلفات الصوفية ذات المنحى السلوكي أهمية فائقة في برامج الكراسي العلمية، وكانت لها أوقاف تُحبّس عليها، ومن بين تلك المؤلفات: الحكم العطائية بشرح ابن عباد[31]؛ فهذا الكتاب اعتُمد كثيرا لدى علماء القرويين، ومن ضمن الكراسي التي درس بها هذا التأليف كرسي المحراب كان يدرس به بعد الصبح، وبين العشائين، وكرسي ظهر الصومعة، وكرسي الونشريسي، وغيرها من الكراسي والمجالس التي اعتنى فيها أصحابها بهذا الكتاب، ومن الكتب المقررة كذلك كتاب إحياء علوم الدين للغزالي– كما سبق– كان يدرس في عدد من الكراسي منها: كرسي المحراب، وكرسي ظهر الصومعة، أما حلية الأولياء فكانت تُدرّس هي الأخرى بكراسي منها: كرسي المحراب، وكرسي ظهر

الصومعة، وكرسي ظهر الخصة تلقى فيه قبل صلاة العصر، كما كانت موقوفة على كرسي البلاط الثاني قبل صلاة العصر وبعد الصلاة. بالإضافة إلى كتاب الرسالة القشيرية، وكتاب الروض الفائق في المواعظ والرقائق لشعيب بن عبد الله لحريفش[32]، درس بكرسي ظهر الخصة بعد صلاة العصر، وغير ذلك من المؤلفات التي تهم جانب السلوك السني وتُعنى بجانب تهذيب النفوس وتزكيتها.

وصفوة القول لقد شكل نظام التعليم بالكراسي العلمية بالقرويين وبفروعها بفاس أهمية بالغة في تقريب مبادئ الفقه المالكي، وفصول العقيدة الأشعرية، وأصول التصوف السني وذلك من خلال ما تخصص منها في كل من هذه العلوم الثلاثة. وأهم تجل من تجليات هذا التقريب كون علماء القرويين كانوا يأخذون كتابا من الكتب في فن من هذه الفنون الثلاثة . وفي غيرها . ويشرحونه بما يتناسب وفهوم طلبتهم ممن يحضر مجالسهم، كما أن التدريس بهذه الكراسي كان سببا رئيسا في وضع نمط خاص في التأليف كان المراد منه تقريب العلوم إلى أبعد الحدود وهذا النمط هو ما يعرف بالحواشي، فكثير من هذه الأخيرة كانت تُؤلَّف نتيجة للتدريس ضمن نظام الكراسي حيث نجد الشيخ يدرس طلبته إحدى الكتب الشارحة فيريد تقريب مضامينها لهم بصورة أكثر وضوحا وأكثر تيسيرا فيعمد إلى وضع شرح عليها ليزيد من تمكين المضامين في ذهنيتهم، وأحيانا نجد الطلبة هم من يدونون حواشي أساتذتهم نقلا عن مشافهاتهم إياهم أثناء التدريس، وهذا النوع من التأليف هو من أعلى مراتب التقريب التي مارسها علماء القرويين.

وقد كانت الكراسي أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهورها، كما أن من تجليات إسهام الكراسي العلمية في تقريب مضامين التدين للناس كونها شملت الكثير من الطلبة بمختلف فئاتهم ومن عدد من مناطق المغرب، واستطاع العلماء من خلال هذه الكراسي أن يبثوا مبادئ التدين وفق الاختيارات التي اتفق عليها المغاربة في ذهنية هؤلاء الناشئة فكانوا يجتهدون ما أمكنهم من خلال دروسهم ليقربوا لهم مضامينها الكبرى فرَبَّوا بذلك أجيالا على هذه الثوابت وهؤلاء بدورهم أصبحوا علماء عملوا هم أيضا على تقريب ما حصلوه للأجيال المتوالية في مختلف مدن المغرب، وهكذا تواصلت الرسالة وسلمها جيل لجيل مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}**[33].

كما أن أبرز علماء المغرب تخرجوا من القرويين وكانوا يتباهون بذلك وكان من لم يتخرج منها يفوته الكثير من الفخر، وهكذا يبرز لنا الدور الكبير الذي لعبته الكراسي العلمية في تقريب مضامين الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني في مختلف مناطق المغرب وسيظهر لنا هذا أكثر حين

سنعرض لتفاصيل هذه الكراسي التي دُرست بها هذه العلوم، ومن المهم جدا هنا أن نعلم أن الكراسي العلمية بالقرويين كانت تُعقد في ثلاثة أصناف: كراسي الناحية الجنوبية (جهة القبلة) وتختص بالدراسات العليا، وكراسي الجدار الشرقي والشمالي للدروس الثانوية، وكراسي الجدار الغربي للدروس الأولية، وكل هذه المستويات كانت تُدرس بها مؤلفات تناسب مستوى طلبتها في كل من العلوم المدروسة، ومن هنا تبرز لنا أهمية هذه الكراسي في خدمة هذه العلوم وتقريبها لمختلف الفئات التي كانت تدرس بجامعة القرويين أو تقصد حلقاته العلمية ومجالسه من أجل الانتفاع والاستفادة والدور الذي لعبته في توحيد تمثل المغاربة للدين أصولا وفروعا، وتجليات التقريب الذي لعبته هذه الكراسي بخصوص مضامين هويتنا الدينية فقها وعقيدة وسلوكا وتربية.

خاتمة استنتاجية: وصفوة القول لقد غدت مدينة فاس منذ نشأتها مركزا حضاريا وصرحا علميا، زاوج بين ثقافة القيروان التي حملها المهاجرون القيروانيون وغيرهم من الأقطار المغاربية إليها منذ عهد المولى إدريس الأول، وبين الثقافة الأندلسية التي حملها معهم الأندلسيون الوافدون عليها على مدى تاريخها الطويل، وبين موروث السكان الأصليين، فكان للتراث العلمي والثقافي القيرواني والقرطبي تأثير شامل على حركية العلوم بها، والحياة اليومية لأهلها وحتى على هندستها وبناء وزخرفة مساجدها ومدارسها مما أضفى على المدينة طابعا مخضرما جعلها تتربع على قائمة المدن الإسلامية الأشهر في العالم، وهو الأمر الذي يبرهن على مدى التمازج والتلاحق الذي شهدته المدينة بين مختلف مكوناتها، ويؤكد بما لا يقطع للشك أن مدينة فاس فتحت أبوابها لاستقبال كل من وفد عليها بغض النظر عن جنسه ومشربه، وبذلك تحقق دعاء مؤسسها المولى إدريس الثاني حين دعا لها.

لقد أضحى جامع القرويين بفاس مقصد الطلاب ومحج ذوي العقول والأفهام ومنزل أهل الذوق والسلوك، فقد احتضن مجالس العلم المنتظمة وفق برامج محددة وخاضعة لجدولة زمنية مسطرة سلفا، هذا فضلا عن الدروس الموجهة لتوعية عموم الناس. فغصت جنباته بطلبة فاس وأولئك الوافدين من مختلف البقاع والأصقاع والذين وجدوا في مؤسسة الوقف خير سند ومعين بما توفره من سكن وتقدمه من مرتبات تحفيزية، الشيء الذي دفعهم إلى الإقبال على العلم والتفرغ لطلبه، وأمست أعداد الطلبة في تزايد مستمر.

وإلى جانب الدروس المنتظمة برحاب القرويين، كانت المجالس العلمية تعقد في المساجد التابعة لها في سياق ما عرف بنظام الكراسي العلمية التي شكلت إحدى مرتكزات المنظومة التعليمية بفاس، وأحد القنوات الفعالة في تدريس العلم وذيوعه، وقد كانت مخصصة لتدريس العلوم الدينية والفقهية

والأدبية ...اعتمادا على أمهات الكتب، حيث يقوم العالم بشرح الكتاب المحدد في الوصية الحبسية ذات الصلة بالكرسي العلمي، ذلك أن الكثير من الكراسي أنشئت بموجب عقد حبسي يبين الكتاب أو الكتب العلمية الواجب دراستها من جهة، والأملاك الحبسية التي رصدت لها من جهة ثانية. وقد تضاف كتب جديدة وأيضا أوقاف جديدة للكرسي في مراحل موالية. وفي هذا السياق نشير إلى إقبال الناس من مختلف الشرائح الاجتماعية وتنافسهم على تحبيس الأملاك على هذا الكرسي أو ذاك مما أسهم في دعم القائمين عليها وتشجيعهم على العطاء العلمي .فاشتهرت الكثير من الكراسي العلمية بفاس بالنظر لقدمها أو لمكانة العلماء الذين تعاقبوا عليها أو لغنى ما حبس عليها من أملاك.

وإن عموم ما يمكن أن يقال عن القرويين وعن كراسيها العلمية هو أنها قد أسهمت إسهاما بارزا في تقريب مضامين الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية، والسلوك السني وذلك من خلال مدارستها للمؤلفات الخاصة بهذه العلوم، وقد كان لعلمائها الدور الأبرز في ذلك من خلال تبسيطهم لمضامين تلك العلوم من خلال مؤلفاتهم التقريبية التي ألفوها خاصة الشروح والحواشي التي بذلوا فيها الجهد لأجل هذه الغاية وهي تقريب المضامين للطلبة المبتدئين في كل من العلوم المذكورة، وإلى حدود هذه الفترة كانت القرويين منارة في العلوم خادمة لأصولها وميسرة لفروعها، ومن هنا تكمن أهمية الكراسي العلمية في تقريب مضامين كل من الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك السني في كثرة من كان يرتاد الحضور للجلوس لعلماء هذه الكراسي؛ فالكراسي العلمية منذ تأسيسها بما تضمنته من مؤلفات كانت تستقطب طلبة العلم من فاس ومن خارجها من مختلف مناطق المغرب، بل حتى من الخارج لينهلوا من حياض علومها من خلال ما يتلقونه فيها من علوم على يد علمائها الأفذاذ، كما كانت جامعة شعبية مفتوحة بكراسيها العلمية أمام التجار والحرفيين والصناع الذين كانوا يجلسون بانتظام حول الكراسي العلمية لينهلوا من معينها خاصة تلك التي يعمل علماؤها على تيسير ما يفقه الناس في أمور دينهم مما يهم الجانب العملي في الدين بما في ذلك المعاملات والمعتقدات والأخلاقيات، وبذلك فقد كان للكراسي العلمية دور بارز في نشر الفقه المالكي وتقريبه وتمثين العقيدة الأشعرية والتصوف السني بجانبيه العلمي والعملي.

كما كانت القرويين– جامعا وجامعة– تعد ذاكرة المغرب العلمية والحضارية، وستظل صرحا عتيدا في بنية الحضارة المغربية، وفي مكونات العمود الفقري للثقافة العربية الإسلامية في المغرب العربي، وستمثل أبد الدهر منارة شامخة بإشعاعها المتوهج.ولا عجب في ذلك نظرا للأدوار الإيجابية التي اضطلعت بها عبر التاريخ،ولن تزول تلك الوشائج القوية بين التاريخ الثقافي والحياة الروحية للأمة

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

المغربية وبين القرويين العريقة التي ارتبط بها معنى الهوية الحضارية المغربية،واقترن بها توهج سراج الحضارة العربية الإسلامية في أرقى عطاءاتها وأبهى تجلياتها ولا أعتقد البتة أن الإشادة بدور القرويين في الماضي يشفي الغليل بالنسبة لكل من يغار على تراثه ويعشق تاريخ بلاده. إن القرويين في أمس الحاجة إلى إحداث تغيير جذري ومراجعة كاملة في برامجها ونظمها ورؤيتها الحضارية، لأننا نعيش اليوم في زمن العولمة والرقمنة،ونحتاج إلى مراجعة أنماط تفكيرنا وإلى التفتح على حضارات الأمم المتقدمة الراقية،ولن يتأتى ذلك إلا باكتساب اللغات الأجنبية وإتقان أساليب الحوار العلمي والأخذ والرد المنبني على الأسس،والإلمام بكل ما هو جديد في عالم التطورات التكنولوجية.

الهوامش:

1- انظر حسن جلاب،"جهود ملوك الدولة العلوية في إصلاح التعليم بجامع القرويين وكلية ابن يوسف "،مجلة دعوة الحق، العدد 341، السنة 40، 1999،ص102.---2-انظر روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986،ج2،ص668.- محمد عبد الرحيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1953.---3-انظر محمد الدفالي،"نخبة بداية الحماية والمسالة التعليمية"، مجلة أمل، عدد30، السنة 2004، ص 78.---4-انظر:حسن جلاب، إصلاح جامعة القرويين بين الأمس واليوم، مراكش، 2004، ص10.---5-انظر:-عبد العزيز بن عبد الله:"فاس حاضرة الفكر في القارة الإفريقية"، مجلة المناهل، العدد13 ،1979 ، ص167-ديل اف ايكلمان، المعرفة والسلطة في المغرب ، البيضاء، 2000، ص 150-151.---6-انظر:ماضي القرويين ومستقبلها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006،ص46.---7-انظر:محمد الفاسي:"المولى إدريس شاعرا والحركة الأدبية أيام الأدارسة"، دعوة الحق، العدد 274، 1989---8-انظر:محمد الواسطي:"إصلاح برامج التعليم بالقرويين في العهد العلوي"، دعوة الحق، العدد 363،2002.---9-انظر:نعيمة مني:"معالم ومظاهر التاريخ الفكري والثقافي للقرويين"،دعوة الحق، العدد364، الرباط، 2002، ص83.---10-انظر:عبد الحميد محيي الدين، "الإشعاع التعليمي في القرويين جامع وجامعة"، مجلة دعوة الحق، العدد364، الرباط، 2002، ص16.---11-انظر:عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، بيروت، 1973، ج1، ص127.--- 12-انظر:عبد الهادي التازي، "تاريخ جامعة القرويين المعماري والفكري"، سلسلة أبحاث وأعلام، مطبعة فضالة، المحمدية، ص71.-حسن عزوزي، "جامع القرويين ودورها التاريخي في البناء الحضاري"، منشورات المجلس العلمي بفاس، 1992، ص10-11.---13-العُدوة:ورد ذكرها في القران الكريم في قوله عز وجا:{إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى}سورة الأنفال، الآية 24.وهي"المكان المرتفع، وتُجمَع على عُدَى"وانظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ، ص1126.---14-انظر:-عبد العزيز بنعبد الله،"من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد"،دعوة الحق، العدد1، الرباط ،1962، ص9.---15-انظر:غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، لمحمد السفاريني، مؤسسة قرطبة، ج2، مطلب فضل بناء مسجد.---16-انظر:حسن السائح، التاريخ العلمي لجامع القرويين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1997.---17-وانظر:أحمد توفيق المدني، تاريخ الجزائر وجغرافيتها، ص 210-211، طبع في الجزائر عام 1929 م.---18-انظر:محمد العابد الفاسي، الخزانة العلمية بالمغرب، مطبعة الرسالة، الرباط، بدون تاريخ، ص9-10.---- 19-انظر:-محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989.---20-انظر:محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996، ص96.--21-انظر:محمد الحجوي، مختصر العروة الوثقى،البيضاء، نشر دار ابن حزم، بيروت،1424، ص 19.---22-انظر:عبد الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك الدولة، الرباط، 1937، ص127 .- --23-انظر:-محمد الحجوي، نظام القرويين الأساسي لمجلسها الانتخابي، مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط، ص130. ---24-انظر:محمد الوسطي، "إصلاح برامج التربية والتعليم بالقرويين في العهد العلوي"، مجلة دعوة الحق، الرباط، عدد363، يناير 2002، ص44.---25- انظر:أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، مطبعة النجاح، 1997، البيضاء، ج2، ص 62-64.---26-هو كتاب النوادر

والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1999.---27-هو كتاب الواضحة في السنن ،تحقيق ميكلوش موراني ،بدار البشائر الإسلامية، ببيروت ، 1431هـ.---28-هو البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.---29-هو كتاب المقدمات الممهدات، لأبو الوليد محمد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.---30-القُطْبُ تُجمَع على أقطاب وقُطوب وقِطَبَة".انظر:عبد السلام القادري، نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن كان بالمغرب من أهل القرن الحادي، تحقيق خالد صقلي،دار الأمان،الرباط ،2010،ص99.---31-انظر:إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد، لعبد المجيد الزبادي، تحقيق خالد صقلي، مطبعة انفو برانت، فاس، 2006.---32-هو شعيب بن عبد الله الحرفيشي،وكتابه الروض توجد 17 نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط .---33-الاية17 من سورة الرعد.